والتثنى بقطع من الورق اللاصق.

غاب عنى، وغبنا جميعاً فى عملية طويلة بلا نهاية، تمثلت فى اللهاث وراء لقمة العيش، والأتوبيساث، واجترار الأحلام فى أركان المقاهى.

أخذ حلمه بالسفر أشكالاً مرضية، وفكر فى الهجرة، واستخرج جواز السفر، وأصبح يعرضه على الأصدقاء، ويؤكد أنه سيسافر بعد أسبوع أو أيام.. ولم يسافر.. واختفى. وعاد يظهر فى الشوارع مهزوماً، وصمت شهوراً وعرف بعد ذلك أنه تزوج وأنه يعيش فى حى شعبى بعيد.. يذهب إليه كل ليلة سيراً على الأقدام.

كنت ألتقى به أحياناً فى مقهى أو بار، ونجلس فى صمت. وعندما كان يطرق برأسه وهو يطلى حذاءه كانت تعتلى عينيه وجبهته نفس تلك البوارق التى كانت تضنيه وهو بعد شاب صغير. ويتجسد فى وجهه ذلك الحنين اللاسع للسفر، والذى لم ينطفئ قط.

عندما أخبرتنى ابنته الشابة بموته على فراشه. قالت لى إنه لم يمرض سوى أيام قليلة، وإنه لم يكن يقرأ وهو